ليس الحديث رومانسيا
بل حديث عن "العروبة"

منذ الثانى من أغسطس الماضى والذى شهد اجتياح القوات العراقية إقليم دولة الكويت الشقيقة والجار العربى والمسلم والوطن العربى يعيش أزمة حقيقية استحكمت حلقاتها وتصاعدت احداثها حتى اندلعت الحرب فى صباح السابع عشر من يناير الماضى بعد استنفاد كل الوسائل والاساليب الممكنة لحمل العراق سلما على الانسحاب من الكويت والغاء كافة الآثار المترتبة على غزوه.

وقد أثارت الازمة ومن بعدها الحرب والتى لا تزال رحاها دائرة الآن فى انتظار توسيع نطاقها والهاب اتونها بمزيد من الضحايا البشر، العديد والعديد من التداعيات لعل اوفرها نصيبا من الكم الهائل للدراسات والتعليقات والاحاديث التى نقرأها ونشاهدها ونسمعها كل دقيقة ما يتصل (بالنظام الإقليمى العربى) وكيف ان الأزمة ومن بعدها الحرب قد كشفت عن ضعف شديد فى هذا النظام وعن خلل بنيوى تمكن منه ومن مؤسسته وادارته التعبيرية ورمزه (الجامعة العربية)، وتعالت الاصوات هنا وهناك تنتقد وتهاجم حتى وجدنا من يبكى العروبة ويولول عليها بل ويشيع التضامن العربى إلى مثواه الاخير.

وهذه الأفكار والاصوات فى حقيقة الامر إنما تنطلق - وهى فى هذا لديها العذر - وقد اثر عليها الدخان والغبار المتصاعد من الاحداث الجسام والآلام الناجمة عن الحرب بل والخشية من صوت المستقبل العربى، وقناعتى الشخصية كمواطن مصرى عربى انه ما ان تهدأ العاصفة وينجلى الغبار وتعود الامور الى نصابها ويسترجع أصحاب الحق حقهم، وسيعاود أصحاب هذه الأفكار التفكير برؤيه أكثر وتبصر أعمق وسيكتشفون أنهم قد ذهبوا فى مجال اليأس والقنوط مدى أبعد مما يدعوا اليه التأثير السلبى والمحزن والمؤلم للمأساة العربية التى بدأت فصولها يوم الثانى من أغسطس.

لقد غطت مصطلحات وتعبيرات والفاظ جديدة نسبيا على الاذن العربية مثل الصروخ سكود - باتريوت - القناة التليفزيونية الامريكية CNN - الطائرة الشبح الحرب البرية - قوات التحالف - المعتدى - تحرير الكويت - تدمير العراق.... إلى أخر هذا الكم مما ينطق به حتى أطفالنا الصغار، غطت هذه المصطلحات والتعبيرات على مصطلحات اخرى وتعبيرات طالما عشقناها نحن العرب وسعينا فى نقلها الى حيز الوجود والدافع مثل التضامن العربى - العروبة - القومية العربية التكامل العربى - الوحدة العربية - وطن عربى واحد من المحيط إلى الخليج - أمة واحدة إلى آخر هذه المصطلحات التى تشير فى نفس كل عربى مشاعر الارتباط والانتماء إلى منبع واحد وهو "العروبة".

وليس من شك فى أن الازمة والحرب لابد وان تفرض مصطلحات وتنشر تعبيراتها لكن ليس إلى حد ان نكفر بالحقيقة القائمة والمستمرة والباقية وهى "العروبة".

فالعروبة ماتزال هى الشعور الغامر والقومية العربية ما تزال حقيقية لاتستطيع أى أزمة أو تقدر أى حرب على طمسها أو الغائها، بل انه فى ظل ضغوط الازمة وتحت تأثير دوى الانفجارات تطل العروبة والقومية العربية برأسها تلح

علينا وتذكرنا بوجودها ذلك بوقائع محددة وسلوك متكرر وليس بحديث رومانس أو شعارات جوفاء :

(١) اللوعة التى شعر بها العرب فى كل مكان حين غزا العراق الكويت وشراء اهلها وساكينها، الا تعبر عن شعور حى بالعروبة؟

(٢) اسراع الدول العربية الى الاجتماع فور وقوع الغزو للبحث عن تسوية سلمية عربية - على اختلاف الازمة والتوجهات - اليس دليلا عن اللهفة والحرص على انقاذ العرب والعروبة من فتنة خبيثة توشك ان تطيح بمقدراتهم ؟

(٣) النداءات والمناشدات المتكررة من مصر والتى لم تنقطع حتى بعد اندلاع الحرب والتى تدعو العراق إلى ان يحكم العقل ويستجيب للشرعية والعدل والقانون حماية للعراق قبل غيره، اليست تعبيرا عن مظهر حقيقى للعروبة؟

(٤) فرصة الرأى العام العربى وتهليله لضرب اسرائيل بالصواريخ - مع احترام كل وجهات النظر فى شأن تقييم الاثر الحقيقى لذلك - الا تعبر عن ارتباط الشعب العربى فى كل أقطار الوطن العربى بالقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطينى وان فلسطين تعيش فى قلب كل منا، أو ليست هذه "عروبة" ؟

(٥) الالم الذى يعتصر قلب كل عربى - واولهم الكويتى والسعودى - حين يسمع اخبار التدمير والخراب الذى يحل بالعراق - مع تسلمنا الكامل بتصلب وعناد القيادة العراقية ومسئوليتها عن كل ما يحدث - اليس ترجمة حقيقية وتلقائية لمشاعر الاخوة وروابط الدم التى تجمع كل العرب ؟

(٦) تأكيد القيادة السياسية فى مصر وفى غيرها من الدول العربية على ضرورة ان تكون ترتيبات الامن فى منطقة الخليج بعد انتهاء الازمة والحرب ترتيبات عربية، الا يعكس ذلك اتفاقا حول ضرورة الحفاظ على الهوية العربية والاستقلال العربى ؟

وتتعدد الوقائع وتتنوع الاحداث التى تؤكد ان العروبة ما تزال هى النبض الذى يجيش فى صدر كل عربى وستظل كذلك، وغدا أو بعد غد تزول الغمة وتنقشع السحابة - ولو كانت سوداء - ويعود العرب فى أخرى أمة واحدة تجمعها روابط الدم - اللغة - الدين - الجغرافيا - التاريخ بل والمصير الواحد الذى يتعرض الان لاخطر مواجهة واقسى تحد، وستعود الكويت إلى شعبها العربى ويعود العراق العربى الى امته صحيح ان المرحلة القادمة صعبة وحساسة لكن المهم هو الا يسمح العرب بأن يتكرر ما حدث وانهم لقادرون بالاخلاص فى النية والرشادة فى التفكير والجدية فى العمل المشترك تحت لواء "العروبة".

د. عطية حسين أفندى
مركز البحوث والدراسات السياسية
كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة